قال تعالى :

﴿الم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربِّها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار. يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدُّنيا ويضلّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾[سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦].

الكلمة كلمتان :

طيِّبة وخبيثة :

طيِّبة تنزل من فم الإنسان الطيب حلوة المخرج، عذبة المسمع، ليّنة المذاق يتلقفها السمع وينزل بها على القلب برداً وسلاماً، ومحبة ومودة، فتستقر فيه وتثبت، ويتقبلها العقل ويعيها ويربطها بالوجدان لتكون ثمرات القلب حكمة وعلما، وروحانية القلب نوراً وضياء.. ثابتين مشرقين ممتدين ما بقيت الحياة كالشجرة المثمرة اليانعة المورقة المخضرة أبداً لا تزعزعها الريح، ولا تؤثر فيها العواصف، باسقة الجذع مظّلة الفروع لها ثمر وظل ممتدين، وتلك هي الكلمة الطيبة لها حكمة ونورانية ممتدان. يتفيأ الناس منها الظلال، ويأخذون منها الهدى..

والكلمة الخبيثة فساد وضلال.. ظلام يعتم العقل ويقسي القلب.. هشيم تذروه الرياح، لا يثبت ولا يبقى، شجرة يابسة هشة لا تصمد لريح، ولا تعطي الثمر.

فيا أيها الذين آمنوا!

الكلمة الطيبة منكم ولكم أنس وحياة ونور. والكلمة الخبيثة ليست منكم ولا لكم هي ضلال للظالمين وفساد للعابثين.. فكونوا أصحاب الكلمة الطيبة **﴿أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمَّن يمشي سوياً على صراط مستقيم﴾**.

صدق الله العظيم

قال تعالى :

﴿الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار، وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كلّ ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفّار﴾ [إبراهيم ٢١-٢٤].

يا أيها الإنسان!!

اسمعني في هدأة الليل.. وأنت مقبل على تسليم نفسك لله... في نوم هانىء عميق...

اسمعني:

الله الذي خلقك يسّر لك الحياة، وذلل لك سبلها، وأنعم عليك بنعمه ظاهرة وباطنة، وجعل بين يديك سماء فيها نجوم تمتع ناظريك بأنوارها اللألاءة. وجعل لك أرضاً واسعة تضرب فيها سفراً من أقصاها إلى أقصاها.. وربط بين السماء والأرض بماء ينزل من السماء، فتتلقفه الأرض حياة وثمراً تأكل منه.. ورزقاً يتنوع حسب حاجاتك هو طعام تتغذى به، وثياب تلبسها، وأثاث تتنعم به، ورياش تقتنيها، وحيوان تنتفع به وهو ماء يتفجر ينابيع.. أو تسيل به الأودية أنهاراً.. أو تصطخب به الأواذي بحاراً تسير فيها قواربك، وتمخر عبابها سفينتك.. جعلها بين يديك مسخرة.. مذلّلة، تستضيء بالشمس في نهارك.. وتستكن في الظلام في ليلك.. وأجرى بين يديك ما تشتهي نفسك، ويسأله قلبك.. **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها..﴾** فلا تكن أيها الإنسان منكراً لله.. جاحداً لنعمه بل ودِّع يومك بشكر الله.. حين تسلم نفسك إليه لتصطبح بنعمة النهار حين تفيق.. ولا تكن ظلوماً لنفسك كفاراً لنعمة الله..

قال تعالى :

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنياة والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾ [الكهف: ٤٦].

يا أخي المشاهد

قف معي لحظات قبل أن تغلق التلفاز.

المال بين يديك نعمة، تستعين به على قضاء حوائجك، وهو وسيلتك للاستمتاع بطيبات الحياة الدنيا، فلا تجعله نقمة تبطر به وتتخذه للترف والمعصية ونكران النعمة.. هو زينة لك في دنياك ليكون لك ذخراً باقياً صالحاً في اخراك.. فاجعل منه لعباد الله الفقراء نصيباً، اجعل منه لمشاريع الخير ومعونة المحتاجين وبناء المساجد والمياتم والملاجىء ما يكسبك الأجر والفخر..

وولدك نعمة وزينة لك في حياتك فربهم تربية الخير وعلمهم ليكونوا أدوات بناء وثقفهم بالدين والخلق وأدبهم بآداب القرآن والنبوة ليكونوا زينتك في دنياك، وخَلَفك من بعدك، وذخرك في حياتك..

هذا هو الباقي.. ثواباً.. وهذا هو المأمول مستقبلاً...
ما أحلى الأمل إذا تعلق بالمال لوجه الله...
وما أمتع الأبناء إذا كانوا ذخر الحياة...

قل إذا رأيت مالك ما شاء الله.. اللهم زدني من نعمك وأعني على طاعتك.. وقل إذا رأيت ولدك.. ما شاء الله اللهم اجعلهم قرة عين لي في دنياي، وثوابي في أخراي واحيهم في طاعتك...

وأَعِنِّي على أن أجعل من مالي وولدي سبيلاً إلى مرضاتك بالعمل الصالح ومنفعة أمتي ووطني وأهلي: **﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا﴾**

قال تعالى :

﴿فلا أقسم بالخنَّس الجـوار الكُنَّس والليل إذا عسعس والصُّبح إذا تنفّس إنَّه لقول رسول كريم﴾ [التكوير: ١٥-١٩].

يا الله ما أروع هذه الصورة الجميلة

يقسم الله بمظهر من مظاهر خلقه في هذا الكون، يقسم بشيء لم تكن تعرفه العرب علماً. . ولكنهم يعرفونه ظاهراً في إعجاز من اللفظ، وموسيقى من التركيب يأخذ باللب، ويفتن البليغ.

والخنس النجـوم التي تكـر راجعـة من حيث ابتـدأت في سيرهـا، والخنس المختفيات. . نجـوم تختفي في النهـار وتبـرز في الليل زحل والمريخ والمشترى وعطارد والزّهرة.

والصبح يتنفس. . يمتد كالنفس حتى يصير نهاراً. . فتختفي النجوم تحت ضوء الشمس الباهر. . حتى إذا دارت الشمس دورتها أو دارت الأرض تحت ضوء الشمس دورتهـا. . أقبـل الليل وعسعس فتبـرز النجـوم مع إقبـال الليل. . وهكـذا ظهور واختفاء. . ونهار وليل. . ونور وظلام. . وفق نظام بديع رائع أفلا يدل هذا على وجود الله. . وإلا فمن نظم هذا النظام بديع رائع أفلا يدل على وجود الله. . . وإلا فمن نظم هذا النظام وأبدعه هذا الإبداع. . فآمنوا أيها الناس بما جاءكم به رسول الله. . إنه لقول رسول كريم. .

جاء بهذا الإعجاز في الإيجاز والتناسق في اللفظ كتناسق الخَلْـق. . والإيقاع في الحـروف المتنـوعـة فمنها المهموس ومنها المنغم «**فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس﴾** صدق الله العظيم.

- ٥ -

قال تعالى :

﴿ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير﴾ [النحل: ٧٧].

الأرض نقطة أو أقل من النقطة في هذا الكون الفسيح، وماذا يكون الإنسان وهو فرد من الملايين التي تسكن الأرض بجانب ملايين الملايين من النجوم.

لا يكاد يبين.. ومع ذلك حاول أن يستريد الفضاء.

واستراده... وما زال.. مركبات من الفضاء تسبح في الفضاء وصواريخ تطلق لعلها تصل إلى بعض الكواكب القريبة من الأرض...

النجوم في مساراتها وتعرجاتها وأبراجها والسماء والطارق والسماء ذات البروج.. وما فيها ومن فيها.. كلّه غيب كله عند الله... وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.. فالله الذي يعلم.. والله المسيطر..

بالأمس حدثت هزة خفيفة في عمان فطارت الألباب وفزعت النفوس.. وفي مناطق من الأرض حدثت هزات وفي لمح البصر أو أقرب زالت من الأرض عمارات وغارت في الأرض أبنية.. ومات من الناس كثيرون.

والساعة بيد الله تحدث في لحظات أقرب من لمح البصر فلماذا إذن يا أخي لا تريد أن تدرك أنك في الدنيا لست مقيماً.. وأنك فيها عابر سبيل.. فاعمل صالحاً إذن.. قبل الرحيل.

قال تعالى :

﴿الله الـذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفـاً فتـرى الـودق يخـرج من خلالـه فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشـرون . وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين . فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾ [الروم : ٤٨-٥٠].

مظهر من مظاهر خلق الله يدل على عظمته، ويجعلك مؤمناً بأن لهذا الكون مسيراً بيده مقاليد الأمور أعظم منك أيها الإنسان . . جعل الكون على أبدع نظام . .

وهذا النظام الرائع له مظهر من مظاهر، مظهر يجمع بين ما نسميه بالنقيضين في آن واحد . . . النار والماء . . والسحاب والبرق . . الصواعق والأمطار. هذه الرياح يحركها الله . . فتحرك السحاب وتسوقه وتمدده في آفاق السماء شرقاً وغرباً . . ويسير السحاب في سرعات مختلفة **﴿ويجعله كسفاً﴾** ويكثف في جهات . . . ويخف في جهات **﴿ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً﴾** أي متراكماً بعضه فوق بعض . .

ثم يخـرج منـه المـطر ويسحّ على الأرض العطشى الهامدة . . فإذا هي تهتز مستقبلة قطرات الماء . . وإذا هي تتحرك لتستأنف الحياة . . ويرقب الإنسان مشهد الرحمة النازلة على الأرض المتطلعة . . فإذا هم يستبشرون . . ويسرون . . . وكانوا من قبل في قنوط من رحمة الله ، ويأس من نزول المطر . يسرون بالأرض يربو زرعها وتشـرق خضرتها وينضر وجهها . . ويضحك زهرها . . ويتفجر ماؤها . . . ويتدلى ثمرها . . أليس في هذا حياة إنها حياة الإنسان كذلك . . الله قادر على أن يحيي الإنسان كإحياء الأرض .